

النّهائية

في غريب الحديث والأثر

لإمام محمد الدين أبي السعادات المبارك به محمد الجزري

ابن الأثير

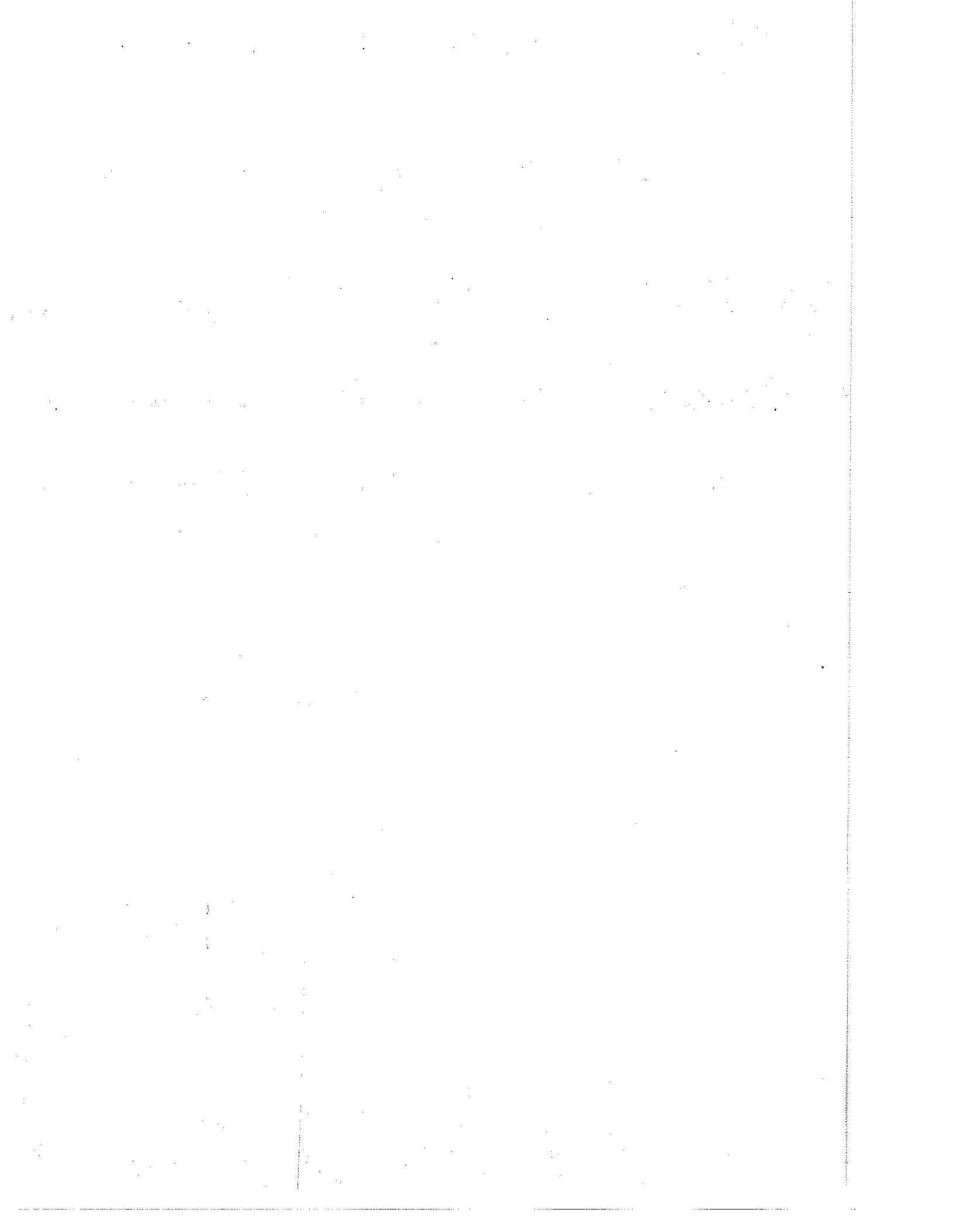
(٥٤٤ - ٦٠٦هـ)

الجزء الأول

تصنيف

طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطنجاوي

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

(١)

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة ، نحمده سبحانه وتعالى حمداً طاهراً طيباً مباركاً فيه ، ونصلي
ونسلم على سيدنا محمد أفصح العرب لساناً ، وأبينهم حجةً ، وأقومهم عبارةً ، وأرشدهم سبيلاً ، صلى الله
وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وصحابه أجمعين ، وبعد :

فقد نشط العلماء منذ بدء التدوين إلى التصنيف في غريب الحديث . وشهدت أواخر القرن الثاني
الهجري ومطلع القرن الثالث أولى هذه المحاولات المباركة . فيقال إن أول من ارتاد الطريق وصنف
في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، المتوفى سنة (٢١٠ هـ)^(١) ثم تتابعت الجهود
وأخذت تخطو نحو السكال ، فصنف أبو عدنان السلمي ، عبد الرحمن بن عبد الأعلى معاصر أبي عبيدة
كتاباً في غريب الحديث ، وصفه ابن درستويه بقوله : « ذكر فيه الأسانيد ، وصفه على أبواب السنن
والفقه إلا أنه ليس بالكبير »^(٢) .

وفي القرن الثالث ألف في غريب الحديث النضر بن شميل المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) .
ومحمد بن المستنير ، قطرب ، المتوفى سنة (٢٠٦ هـ) وامم كتابه « غريب الآثار » .
وأبو عمرو الشيباني ، إسحاق بن مرار ، المتوفى سنة (٢١٠ هـ)

(١) انظر ص ٥ وما بعدها من هذا الكتاب ، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٠٥/١٢ ، والفهرست لابن النديم ص ٨٧ ،
ط ليزج : ومعجم الأدباء لياقوت ١٥٥/١٩ ط دار المأمون ، ونية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٥ ، وكشف الظنون لحاجي
خليفة ص ١٢٠٣ ، ط استانبول ، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار ص ٥٠ وما بعدها .
(٢) تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢ .

وأبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس بن ثابت ، المتوفى سنة (٢١٥ هـ) .
وعبد الملك بن قُرَيْب ، الأصمعي ، المتوفى سنة (٢١٦ هـ) .
والحسن بن محبوب السمرّاد ، من أصحاب الإمام الرضا المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) .
وأبو عُبَيْد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) ومن كتابه نسخة بدار الكتب المصرية
برقم (٢٠٥١ حديث) .

وابن الأعرابي ، محمد بن زياد ، المتوفى سنة (٢٣١ هـ) .
وعمر بن أبي عمرو الشيباني المتوفى سنة (٢٣١ هـ) .
وعلى بن المغيرة الأترم . المتوفى سنة (٢٣٢ هـ) .
وأبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي الإلبيري . المتوفى سنة (٢٣٨ هـ) .
وأبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي النجوى . المتوفى سنة (٢٤٥ هـ) .
وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم ^(١) .
وشمير بن حَمْدَوَيْه الهروي ، المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) .
وثابت بن أبي ثابت ، وزياد أبي عمير القاسم بن سلام .
وابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم . المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) .
وأبو محمد ، سلمة بن عاصم الكوفي ^(٢) .
وأبو إسحاق إبراهيم الحرّبي . المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) .
وأبو العباس محمد بن يزيد ، المبرّد . المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) .
ومحمد بن عبد السلام الخشني . المتوفى سنة (٢٨٦ هـ) وصف محمد بن خير ^(٣) كتابه فقال : « نيف
على عشرين جزءا ، شرح حديث النبي عليه الصلاة والسلام في أحد عشر جزءا ، وحديث الصحابة
في ستة أجزاء ، والتابعين في خمسة أجزاء » .

(١) انظر البقية ص ٥٩ حيث يذكر السيوطي أن أبا جعفر خرج من بيته ولم يرجع سنة (٢٥١ هـ) .
(٢) قال ابن الجزري: توفى بعد السبعين ومائتين فيما أحسب (طبقات القراء ١/٣١١) . وذكر صاحب كشف الظنون
أنه توفى سنة (٣١٠ هـ) (كشف الظنون ص ١٧٣٠) .
(٣) فهرسة مارواه عن شيوخه ص ١٩٥ ط بيروت سنة ١٩٦٣ م

وأبو العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب ، المتوفى سنة (٢٩١ هـ) .
وابن كيسان ، محمد بن أحمد بن إبراهيم . وكتابه نحو أربعمائة ورقة (١) .
ومحمد بن عثمان الجُمَد ، أحد أصحاب ابن كيسان .

ومن رجال القرن الرابع صنف في غريب الحديث قاسم بن ثابت بن حزم السَّرْقَسِيُّ ، المتوفى سنة (٣٠٢ هـ) قال ياقوت : « ذكره الحَمِيدِي (٢) وقال : هو مؤلف كتاب غريب الحديث ، رواه عنه أبوه ثابت ، وله فيه زيادات ، وهو كتاب حسن مشهور . وذكره أبو محمد علي بن أحمد [ابن حزم] وأثنى عليه وقال : ماشأه أبو عبيد إلا بتقدم العصر » (٣) .

وقال القَفْطِيُّ : « أَلَّفَ قاسم بن ثابت كتابا في شرح الحديث سمَّاه كتاب « الدلائل » وبلغ فيه الغاية من الإتيان والتجويد حتى حُسِدَ عليه . وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق ، ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بن عبد العزيز . وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي : لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث . وقد طالعت كتباً ألفت في الأندلس ، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث ، وطالعتها فما رأيت صنع شيئا ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب » (٤) .

توفي قاسم سنة (٣٠٢ هـ) وتوفي أبوه ثابت سنة (٣١٣ هـ) .
وأبو محمد القاسم بن محمد الأنباري المتوفى سنة (٣٠٤ هـ) .
وأبو موسى الخامض ، سليمان بن محمد بن أحمد . المتوفى سنة (٣٠٥ هـ) .
وابن دُرَيْد ، أبو بكر محمد بن الحسن . المتوفى سنة (٣٢١ هـ) .
وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري . المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) . وقيل إن مصنفه في غريب الحديث خمسة وأربعون ألف ورقة (٥) .

(١) معجم الأدباء ١٧/١٣٩ . وقد ذكر الخطيب أن ابن كيسان توفى سنة ٢٦٩ هـ (تاريخ بغداد ١/٣٣٥) ومثله في إنباه الرواه ٣/٥٩ ، وفيه « قال الزبيدي : وهذا التاريخ لوفاته غلط » وقال ياقوت : الذي ذكره الخطيب لا شك سهو ، فإن وجدت في تاريخ أبي غالب حماد بن الفضل أن ابن كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة (معجم الأدباء ١٧/١٤١) .
(٢) جنوة المنتبس ص ٣١٢ (٣) معجم الأدباء ١٦/٢٣٧ وفيه : رواه عنه ابنه ثابت . وكذا في الجنوة (٤) إنباه الرواه ١/٢٦٢ (٥) وفيات الأعيان ٣/٤٦٤

وأبو الحسين عمر بن محمد بن القاضى المالكي . المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) .
وأبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ، غلام ثعلب . المتوفى سنة (٣٤٥ هـ) وكتابه على مسند
أحمد بن حنبل .

وابن درستويه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر . المتوفى سنة (٣٤٧ هـ) .
وأبو سليمان الخطابي ، محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستى الشافعي . المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) .
ومن توفى في القرن الخامس أبو عبيد الهروي ، أحمد بن محمد . المتوفى سنة (٤٠١ هـ) وكتابه
في غريب القرآن والحديث أحد كتابين اعتمد عليهما ابن الأثير في تأليف كتابه . وتقتني دار الكتب
المصرية عدة نسخ منه ، سنتكلم على واحدة منها فيما بعد .

وأبو القاسم إسماعيل بن الحسن بن الغازي البيهقي المتوفى سنة (٤٠٢ هـ) واسم كتابه « سمط الثريا
في معاني غريب الحديث » (١) .

وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي الشافعي . المتوفى سنة (٤٤٧ هـ) ويوجد بدار الكتب المصرية
نسخة من كتابه باسم « تقريب الغريبين » برقم (١٠١٧ تفسير) .

وإسماعيل بن عبد الغافر ، راوى صحيح مسلم . المتوفى سنة (٤٤٩ هـ) .
وفي القرن السادس ألف الشيخ العميد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النَّسَوِيّ المتوفى سنة (٥١٩ هـ)
قال ياقوت : « صنف في غريب الحديث لأبي عبيد تصنيفا مفيدا » (٢) .

وأبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي . المتوفى سنة (٥٢٩ هـ) واسم
كتابه « مجمع الفرائب في غريب الحديث » ودار الكتب المصرية الجزء الثالث والأخير منه برقم
(٥٠٦ حديث) ويبدأ بحرف الفاء .

وأبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد ، الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨ هـ) وكتابه « الفائق
في غريب الحديث » طبع مرتين ؛ أولاها في حيدرآباد سنة ١٣٢٤ هـ ، والثانية في مصر سنة ١٣٦٤ هـ -
١٩٤٥ م . بتحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى البجاوي .

(١) معجم الأدباء ١٤٠/٦ ، وبنية الوعاة ١٩٤ . (٢) معجم الأدباء ١٤/٢

والحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني ، المتوفى سنة (٥٨١ هـ) وكتابه « المغيث في غريب القرآن والحديث » ثاني كتابين اعتمد عليهما ابن الأثير في تصنيف « النهاية » ومنه مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (٥٠٠ حديث) عن نسخة بمكتبة كوبريلي .
وأبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان المتوفى سنة (٥٩٠ هـ) وقد وصف السيوطي كتابه بأنه في ستة عشر مجلداً^(١) .

وابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) .
وفي القرن السابع ألف ابن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦ هـ) « النهاية » وابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان ابن عمر المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) وقد وصف حاجي خليفة كتابه بأنه في عشر مجلدات^(٢) .
ومن صنف في غريب الحديث ولم نقف له على تاريخ ميلاد أو وفاة :
فُستَقَّة^(٣) . وأحمد بن الحسن الكندي^(٤) . وأبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الفزنوي ، الملقب ببيان الحق^(٥) . واسم كتابه « جمل الغرائب في تفسير الحديث » .

هذه جهود العلماء في شرح غريب الحديث بدأت متواضعةً على يد أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ثم أخذت تخطو نحو الكمال حتى انبعثت بعمقٍ وشمول على يد ابن الأثير .
لقد انتهى إلى ابن الأثير حصاد طيب في شرح غريب الحديث أفاد منه وأرْبَى عليه في استقصاء مُعْجَز ودأب مشكور بحيث جاء كتابه بحق « النهاية » في هذا الفن الشريف ، ولم تندد عنه إلا أحاديثُ يسيرة ذكرها السيوطي في « الدر النثير » وفي « التذيل والتذنيب » .
وقد ظهرت ثقافة ابن الأثير المتعددة الجوانب في كتابه « النهاية » فهو لم يقف عند حدود المادة اللغوية في شرح غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين ؛ ففراه يناقش

(٢) كشف الظنون ص ١٢٠٧ .

(١) بنية الوعاء ص : ٧٧

(٣) هكذا ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٨٧ ، وهو محمد بن علي بن الفضل المديني شيخ الطبراني ، وليس هو ولد علي ابن المديني شيخ البخاري (تزهة الألباب في الألقاب ، لابن حجر - مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٣ تاريخ) .
(٤) ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٨٨ وصاحب كشف الظنون ص ١٢٠٥ ، وابن الأثير ص ٧ من هذا الكتاب
(٥) ذكره صاحب كشف الظنون ص ٢٠٥ ، ٦٠١ ، ١٢٠٥ . وياقوت في معجم الأدباء ١٩/١٢٤ والسيوطي في البنية ص ٣٨٧ .

مسائل فقهية؛ مثل ما ورد في النهي عن جلود السباع^(١) ويشير قضايا صرفية^(٢) ويحاول التوفيق بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر، مثل ما ورد في الرقبة^(٣). كل ذلك في إيجاز وافٍ بليغ.

ولم نغف على أحدصنف في غريب الحديث بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) وانحصرت الجهود بعد ذلك في التذييل على النهاية واختصارها.

فمن ذيل عليها صفي الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة (٧٢٣ هـ).

ومن اختصرها الشيخ علي بن حسام الدين الهندي، الشهير بالمتقي، المتوفى سنة (٩٧٥ هـ).

وعيسى بن محمد الصفوي، المتوفى سنة (٩٥٣ هـ) في قريب من نصف حجمها^(٤).

وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) وسُمي مختصره « الدر النثير، تلخيص نهاية ابن الأثير ».

وقد طبع « الدر » بهامش النهاية. ثم رأى السيوطي أن يفرد زياداته على النهاية وسماها « التذييل والتذنيب على نهاية الغريب » ويوجد هذا التذييل بأخر نسخة من نسخ النهاية بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٩٤ حديث) وهو في سبع ورقات. ومن التذييل نسخة ببرلين برقم (١٦٦٠)^(٥).

وقد نظم النهاية شعرا عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبي الحنبلي الحافظ المتوفى سنة (٧٨٥ هـ) ومنه نسخة ببرلين تحت رقم (١٦٥٩) باسم « الكفاية في نظم النهاية »^(٥).

(١) انظر مادة « سبع »

(٢) انظر مادة « رم »

(٣) انظر مادة « رقي »

(٤) كشف الظنون ص ١٩٨٩

(٥) بروكلمان ٣٥٧/١ وملحق الجزء الأول ص ٦٠٧

التعريف بابن الأثير^(١):

هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصل الشافعي،
يسكنى أبا السعادات، ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير.

وقد اتفق المؤرخون على أنه ولد سنة (٥٤٤ هـ) ما عدا ابن تغري بردي الذي ذكر أنه ولد
سنة (٥٤٠ هـ) وهو قول لا يعاج به، حيث انعقد الإجماع على أنه ولد في أحد الربيعين سنة (٥٤٤ هـ)
بجزيرة ابن عمر^(٢).

نشأ أبو السعادات بالجزيرة، ولقن بها دروسه الأولى، ولما استوى يافعا انتقل إلى الموصل
سنة (٥٦٥ هـ) وهناك أخذت شخصيته تفضح وثقافته تغزر، وأقبل على ألوان المعرفة يتشربها على مهل
ليخرجها بعد ذلك إلى الناس علما نافعا فيه خير وبركة ونماء.

وقد استطاعت شخصية أبي السعادات أن تجذب إليه أنظار الحكام الذين رغبوا في الإفادة من
هذا العالم الكبير الجليل. قال ياقوت: «حدثني أخوه أبو الحسن قال: تولى أخى أبو السعادات
الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي، ثم ولّاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل فتاب
في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني، ثم اتصل
بمجاهد الدين قايماز [وكان نائب المملكة]^(٣) بالموصل، فنال عنده درجة رفيعة، فلما قبض على مجاهد

(١) مصادر الترجمة:

معجم الأدباء، لياقوت ٧١/١٧ - ٧٧ ط دار الأمون.

لبناه الرواه للقطبي ٢٥٧/٣ - ٢٦٠

وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢٨٩/٣ - ٢٩١ ط النهضة المصرية.

طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي ١٥٣/٥، ١٥٤

النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٩٨/٦، ١٩٩

بغية الوعاة، للسيوطي ٣٨٥، ٣٨٦

شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٢٢/٥، ٢٣

(٢) بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام. قال ياقوت في معجم البلدان: «وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن

الخطاب التغلبي» وذكر ابن خلكان عن الواقدي أنه بناها رجل من أهل برقعيسد، يقال له عبد العزيز بن عمر.

(٣) زيادة في وفيات الأعيان.

الدين سنة (٥٨٩ هـ) ^(١) اتصل بخدمة الأتابك عز الدين مسعود بن مودود [وولى ديوان الإنشاء له] ^(٢) إلى أن توفي عز الدين فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه ، فصار واحداً دولته حقيقة ؛ بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه ؛ لأنه أقعد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعب عليه ، فكان يجيئه بنفسه أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل .

وكان أبو السعادات ذا دين متين ، فلم تبهره أضواء الحكم ، ولم تثنه عما أخذ به نفسه من الدرس والتحصيل . وقد أراد نور الدين أن يستخلصه لنفسه ، فعرض عليه الوزارة غير مرة فرفضها ، وهي منصب خطير تعشو إليه الأنظار وتعنوا له الجباه .

قال ياقوت : « حدثني أخوه المذكور قال : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد أزمى نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه ، حتى غضب منى وأمر بالتوكيل بي . قال : فجعلت أبكي ، فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال ، فقال لي : أبلغ الأمر إلى هذا ؟ ما علمت أن رجلا ممن خلق الله يكره ما كرهت ! فقلت : أنا يامولانا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمرى ، واشتهر ذلك عنى في البلاد بأسرها ، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدى ما قدرت أؤدى حقه ، ولو ظلم أكار ^(٣) في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إليّ ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة عليّ ، وأللك لا يستقيم إلا بالتسّمح في العسف ، وأخذ هذا الحق بالشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك . فأعفاه . وجاءنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال ، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع ، فلم يؤثر اللوم عنده أسفا . »

وهكذا سارت حياة أبي السعادات بين عزوف عن الدنيا ، وإقبال على العلم ، ورغبة في المعرفة ، واستكثار من الخير والبر ، حتى عرض له مرض النقرس فأبطل حركة يديه ورجليه ، بحيث صار يحمل في صحفة . ولقد قابل رحمه الله هذه المحنة بقلب راضٍ ونفس مطمئنة ، ورأى فيها الفرصة للبعد عن ضوضاء الناس وهوهم ، والفراغ إلى الدرس والتصنيف .

(١) فليس صحيحاً إذن ما ذكره ناشر جامع الأصول في مقدمته من أن الأمير مجاهد قبض على ابن الأثير وسجنه . فالمقبوض عليه هو مجاهد الدين نفسه ، قبض عليه عز الدين مسعود لما تولى بعد أخيه سيف الدين . انظر ص ٧ ، ٨ ج ١ من « جامع الأصول » وقارنه بما جاء في وفيات الأعيان ٣/٢٤٧ ، ٢٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٧/٧٢ .
(٢) زيادة من طبقات الشافعية .
(٣) الأكار : الحرات .

قال ابن خلكان : « حكي أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي ، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً إلا بعد برئه ، فمِلنا إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنفه ، فظهرت ثمرة صنعته ، ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء . فقال لي : أعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه ، فقلت له : لماذا وقد ظهر نجاح معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكنني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت روحي إلى الاقْطاع والدَّعة . وقد كنت بالأمس وأنا معاني أذلّ نفسي بالسعي إليهم ، وها أنا اليوم قاعدٌ في منزلي ، فإذا طرأت لم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي ؛ وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعني أعيش باقيه حرّاً سليماً من الذلّ ، وقد أخذت منه أوفر حظ . قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان . »

وهكذا لزم الرجل بيته صابراً محتسباً ، ينشأ الأكابر ويحفد إليه العلماء ؛ يقبسون من علمه وينهلون من فيضه . وكان آجره الله قد أنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل ، ووقف داره على الصوفية .

قال ابن خلكان : « وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة ، فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة . »

وفي يوم الخميس سلخ ذى الحجة سنة (٦٠٦ هـ) فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ، ودفن برباطه بدرب درّاج داخل البلد .

قال القفطي : « ذكر لي أخوه أبو الحسن علي أنه رآه بعد موته أن نجاسة قد آذته . قال : فاستقصيت وبجثت عن صحة هذه الرؤيا ، فوجدت أحد الأهالي قد أطلق غنماً له فوق سطح الصفة التي هو فيها مدفون ، وقد كثر ما يخرج من أجوافها فوق ذلك الموضع ، فأزلته ونظفته مما حصل فيه . » رحمه الله وجزاه بما يجزي به العلماء المخلصين .

أسرته :

« ابن الأثير » اسم يعرفه كل من اتصل بالمكتبة العربية ؛ محدثاً أصولياً ، أو مؤرخاً نسابة ، أو كاتباً بايعاً . ولم يعرف لرب الأسرة عناية بالعلم أو تصنيف فيه ، ولكنه أنجب عباقرة ثلاثة ، كان لهم في تاريخ الثقافة العربية شأنٌ أسمى شأن . لقد اندفع كل منهم في الطريق الذي اختاره يشكل معالم نهضتنا الفكرية ويثرى جوانبها بانتاجه الخصب الوفير .

وقد اختار مجد الدين الحديث والفقه ، وآثر عز الدين التاريخ والأنساب ، بينما مال ضياء الدين إلى الكتابة والبيان .

وعز الدين هو أبو الحسن عليّ ، ولد بجزيرة ابن عمر في ربيع جمادى الأولى سنة (٥٥٥ هـ) . وتوفي في شعبان سنة (٦٣٠ هـ) بالموصل^(١) . قال ابن خلكان : « كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم » وهو صاحب « الكامل » في التاريخ ، و « اللباب في تهذيب الأنساب » و « أسد الغابة في معرفة الصحابة » .

وضياء الدين هو أبو الفتح نصر الله . ولد بالجزيرة أيضاً في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة (٥٥٨ هـ) وتوفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٦٣٧ هـ) ببغداد^(٢) . وهو الكاتب البليغ صاحب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » قال ابن العماد : « جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره »^(٣) .

علمه وثقافته :

قال مجد الدين في مقدمة كتابه (جامع الأصول من أحاديث الرسول) : « ما زلت منذ ريمان الشباب وحدائة السن مشغوقاً بطلب العلم ومجالسة أهله ، والتشبه بهم حسب الإمكان ، وذلك من فضل

(٢) وفیات الأعيان ٣٢/٥ .

(١) وفیات الأعيان ٣٢/٣ .

(٣) شذرات الذهب ١٨٨/٥ .

الله على ولطفه بي أن حبيبه إلى ، فبذلت الوسع في تحصيل ما وُقِّت له من أنواعه ، حتى صارت في قوة الأطلاع على خفاياه وإدراك خباياه . ولم آلُ جهداً - والله الموفق - في إكمال الطلب وابتغاء الأرب ؛ إلى أن تشبثت من كلِّ بطرف تشبثت فيه بأضرابي ، ولا أقول تميزت به على أترابي . فله الحمد على ما أنعم به من فضله وأجزل به من طوله ... »^(١) .

وقال ياقوت : « كان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً ، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه ، والفقه ، وكان شافعيًا » .

وفي الشذرات : « قال ابن خلكان : كان فقيهاً محدثاً أديباً نحويًا ، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء ، ورعا عاقلاً مهيباً ذا برٍّ وإحسان »^(٢) .

وهكذا لم يترك أبو السعادات باباً من أبواب المعرفة إلا ولجّه ، ولا نافذة من نوافذ الثقافة إلا أطل منها ، حتى اكتملت له شخصية علمية ناضجة ، غنيت جوانبها وأثري إنتاجها .

ومجد الدين يقول الشعر - مقللاً - على طريقة العلماء ، ولكن له بعض مقطوعات تشف عن حسن أدبي رهيف . قال ياقوت : « حدثني عز الدين أبو الحسن قال : حدثني أخي أبو السعادات - رحمه الله - قال : كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل ، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر ، وأنا أمتنع من ذلك . قال : فبينما أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر ، فقلت له : ضع لي مثلاً أعمل عليه ، فقال :

جُبِ النَّفْلُ مُدْمِنًا إِنْ فَاتَكَ الظُّفْرُ وَخَدَّ خَدَّ الثَّرَى وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ

فقلت أنا :

فَالعَزَّ فِي صَهَوَاتِ الخَيْلِ مَرَّ كَبُهُ وَالْمَجْدُ يَنْتَجِعُ الإِسْرَاءَ وَالسَّهْرُ

فقال لي : أحسنت ؛ هكذا فقل ، فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتاً .

« وحدثني عز الدين أبو الحسن قال : كتب أخي أبو السعادات إلي صديق له في صدر كتاب

والشعر له :

(١) جامع الأصول ١٢/١

(٢) هذا النقل لم نجده في وفيات الأعيان المطبوع .

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، النحوي
القمي القرئ الأديب . المتوفى بالموصل سنة (٥٦٧ هـ) ^(١) .

وسمع الحديث بالموصل من جماعة ، منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد
الطوسي التوفى سنة (٥٧٨ هـ) ^(٢) .

وقدم بغداد حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الكل ^(٣) .
وابن كليب ، أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحراني ، ثم البغدادي الحنبلي التاجر ،
المتوفى ببغداد سنة (٥٩٦ هـ) ^(٤) .

وعبد الوهاب بن سُكَيْنَةَ ، الصوفي الشافعي ، المتوفى سنة (٦٠٧ هـ) ^(٥) .
وقد روى عنه ولده ^(٦) . والشهاب الطوسي ، أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد بن شهاب الدين ،
نزىل مصر وشيخ الشافعية ، المتوفى بمصر سنة (٥٩٦ هـ) ^(٧) - وجماعة ^(٨) .

وأخر من روى عنه بالإجازة فخر الدين بن البخاري ^(٩) .
ومن روى عنه أيضاً القفطي المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) قال : ورويت عنه - رحمه الله - وقال :
كتب إلى الإجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته .

-
- (١) طبقات القراء لابن الجزري ٣٧٢/٢ ، والبغية ٤١٢
 - (٢) النجوم الزاهرة ٩٤/٦ ، وشذرات الذهب ٢٦٢/٤
 - (٣) هكذا ذكر ياقوت ، ولم نعتز على ترجمة لأبي القاسم هذا . أما ابن الكل فهو أبو الحسن محمد بن المبارك بن محمد بن
عبد الله بن محمد ، الفقيه الشافعي البغدادي ، ولد سنة (٤٧٥ هـ) وتوفى سنة (٥٥٢ هـ) . وفيات الأعيان ٣٦٢/٣
وطبقات الشافعية ٩٦/٤
 - (٤) وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤
 - (٥) النجوم الزاهرة ٧٠١/٦ ، وطبقات الشافعية ١٣٦/٥
 - (٦) هكذا ذكر ابن السبكي ، ولم يذكر اسمه
 - (٧) طبقات الشافعية ١٨٥/٤ ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤
 - (٨) هكذا قال ابن السبكي ، ولعله قاضي القضاة أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد بن علي بن البخاري الشافعي
المتوفى ببغداد سنة (٥٩٣ هـ) ، طبقات الشافعية ٢٧٩/٤ ، والنجوم الزاهرة ١٤٣/٦

مصنفاته :

ترك ابن الأثير إنتاجاً طيباً يشهد بثقافته الواسعة وعلمه الغزير . فمن مصنفاته :

١ - الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف

(تفسيري الثعلبي^(١) والزمخشري^(٢)) قال ياقوت : أربع مجلدات .

٢ - الباهر في الفروق

في النحو . ذكره ياقوت والسيوطي ، وهو عند ابن السبكي باسم « الفروق والأبنية »

٣ - البديع

في النحو . ذكره ياقوت والفطحي والسيوطي . وذكره ابن خلكان وابن السبكي وابن تفرى بردي باسم « البديع في شرح الفصول لابن الدهان » .

قال ياقوت : نحو الأربمين كراسة ، وقال : وقفني عليه [أخوه عز الدين المؤرخ] فوجدته بديعاً كاسمه ، سلك فيه مسلكاً غريباً ، وبوبه تبويباً عجيباً .

٤ - تهذيب فصول ابن الدهان

ذكره ياقوت والسيوطي . وهو في النحو أيضاً .

٥ - جامع الأصول في أحاديث الرسول

قال ياقوت : « جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي . عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها ، ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها . ثم قال : أقطع قطعاً أنه لم يصنف مثله قط ولا يصنف » وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م في اثني عشر جزءاً . بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقي .

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، الثعلبي النيسابوري ، توفي سنة (٤٢٧ هـ) طبقات الشافعية ٢٣/٣ وتفسيره « الكشف والبيان في تفسير القرآن » .

(٢) هو أبو القاسم جارية محمود بن عمر بن محمد ، توفي سنة (٥٣٨ هـ) وتفسيره « الكشف عن حقائق التنزيل » .

٦ - ديوان رسائل

٧ - رسائل في الحساب مُجَدَّوَلَات

ذكرها ياقوت .

٨ - الشافى، شرح مسند الشافى

قال ياقوت : « أبداع في تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة » ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٣٠٦ حديث) في أربع مجلدات . ونسخة أخرى في مجلد واحد برقم (٢٢١١٨٤ ب) .

٩ - شرح غريب الطوال

ذكره ابن السبكي .

١٠ - الفروق والأبنية

في النحو ، ذكره ابن السبكي . وهو عند ياقوت والسيوطى باسم « الباهر في الفروق » .

١١ - كتاب لطيف في صنعة الكتابة

ذكره ابن خلكان وابن تفرى بردى .

١٢ - المختار في مناقب الأخيار - أو الأبرار

ذكره ياقوت ، وقال : « أربع مجلدات » . منه نسخة بليدن برقم (١٠٩٠)^(١) كما يوجد النصف الثانى منه بمكتبة فيض الله باستانبول برقم (١٥١٦) وهو مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

١٣ - المرصع في الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات ، والأذواء والذوات

ذكره ياقوت والسيوطى وابن السبكي . قال ياقوت : مجلد ، وقال السيوطى : « وقفت عليه وتلصت

(١) بروكلمان ٣٥٧/١ وملحق الجزء الأول من ٦٠٧

منه السكتى فى كراسه « وقد طبع فى « ويمار » سنة ١٨٩٦ م بعناية « سيبولد » الألمانى ، فى ٢٦٧
صفحة من القطع الصغير .

١٤ - المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار

ذكره ابن خلكان وابن تفرى بردى وابن السبكي وابن العماد .

١٥ - النهاية فى غريب الحديث والأثر

وهو الذى تقدم له .

(٣)

منهاج التفتيش :

طبعت « النهاية » ثلاث طبعات : الطبعة الأولى بطهران سنة ١٢٦٩ هـ ، طبع حجر ، وهى غير
مضبوطة وتقع فى مجلد واحد ، فى ١٩٩ ورقة .

والثانية بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ ، وهى مضبوطة بالشكل السكامل ، وتقع فى أربعة أجزاء
وعلى هامشها « الدر الثبير » للسيوطى ، تلخيص النهاية . وهى بتصحيح عبد العزيز بن إسماعيل
الأنصارى الطهطاوى .

والطبعة الثالثة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٨ هـ ، وهى غير مضبوطة ، وتقع فى أربعة أجزاء ، وبأسفلها
طبع « الدر الثبير » وقد ذكر فى الصفحة الأولى من الجزء الأول أن بهامشها كتابين ، أحدهما « مفردات
الراغب الأصفهاني » فى غريب القرآن . وثانيهما « تصحيقات الحديثين » فى غريب الحديث ، للحافظ
أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى ، ولكن لم يطبع بالهامش سوى « مفردات الراغب » .

وأدق هذه الطبعات طبعة العثمانية ، وهى على ما بذل فيها من جهد طيب مشكور لم تسلم من
التصحيح والتحرير ، وجاء معظم ضبطها بحسب الشائع الدائر على الألسنة ، مما نهينا على بعضه ،
وأغضبنا عن بعضه الآخر لظهور وجه الخطأ فيه . على أننا قد أفدنا من التقييدات وفروق النسخ التى

ذكرت بهامش هذه الطبعة وذكرناها معزوة . وقد اعتمدنا على هذه الطبعة واعتبرناها أصلا . وكان لابد من الرجوع إلى مخطوطة للنهاية . ونسخ النهاية الخطية موفورة بدار الكتب المصرية وبغيرها من المكتبات . وقد استوثقنا نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٥١٦ حديث) تقع في مجلد واحد وعدد أوراقها ٣٤٣ ورقة ، ومسطرتها ٣٠ سطرا في الصفحة ، ومقاسها ٢٥ × ١٥ سم ، وهي بخط نسخي دقيق جدا ، وقد ضبطت بالشكل الكامل ، وكتبت المواد على الهامش بالحرة ، وبالهامش تفسيرات لغوية وإضافات معظمها من « الفائق » للزحشري . تمت كتابة سنة (١٠٨٩ هـ) في صبح يوم الأربعاء ، منتصف شهر ربيع الثاني . على يد إبراهيم بن سيد عبد الله الحسيني الخوراسكاني وقد أشرنا إلى هذه النسخة بالرمز (١)

وحيث اعتمد ابن الأثير على كتاب « الغريبين » للهروي فقد اعتمدنا في عملنا نسخة من « الغريبين » وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٥٥ لفة تيمور) في ثلاثة مجلدات ، تمت كتابة سنة (٦١٩ هـ) . وقد أفدنا كثيرا من مقابلاتنا على كتاب الهروي هذا لتوثيق نقول ابن الأثير ، ووقعنا على فروق في غاية الأهمية . ومالم ينص في طبعة العثمانية على أنه من الهروي صدرناه بعلامة الزيادة [هـ] على أن كثرة من الأحاديث التي سبقت بالعلامة (هـ) رمز النقل عن الهروي في طبعة العثمانية لم نجد لها في نسخة الهروي التي بين أيدينا ، فلم ننبه على عدم وجودها ، اعتمادا على أن ابن الأثير نفسه يذكر أن لكتاب الهروي نسخا متعددة . وقد التقطنا زيادات الهروي ؛ من إنشاد شعر أو ذكر مثل ، استثناسا على قاعدة ، أو تدعيا لرأى .

ثم رأينا استصحاب « الفائق في غريب الحديث » للزحشري . وقد رجعنا إليه في مواطن كثيرة ، سواء فيما ينقل عنه ابن الأثير أم في غيره .

ولما كان ابن منظور قد أفرغ النهاية في لسان العرب فقد اعتبرنا ما جاء من النهاية في اللسان نسخة منها ، وأثبتنا ما بينه وبينها من فروق . كذلك نظرنا في « تاج العروس » شرح القاموس « للمرئضي الزبيدي ، وأثبتنا رواياته ، حيث جاء معظم أحاديث « النهاية » فيه .

وقد نظرنا في « الدر الثبير » للسيوطي ، وسجلنا تعقيباته وزياداته ، ومعظمها عن

ابن الجوزى، ولعله اطلع على غريبة، فهو يكثر من النقل عنه .
وحيث أشكل متن الحديث رجعنا إلى كتب السنة . وخرّجنا منها الحديث ، ما وسّع الجهد
وأمكننا الطاقة .

هذا وتحت يدنا « جامع الأصول من أحاديث الرسول » لابن الأثير ، وهو يختلف فيه بغير
الحديث ويفرد له شرحا في آخر كل كتاب .

على أن اهتمامنا تركّز في ضبط المادة اللغوية بالاحتكام إلى المعاجم في كل صغيرة وكبيرة . وما وجدناه
خطأ في الطبعة العثمانية - أصح الطبقات - قومناه حين كان الضبط بالقلم ، ونبهنا عليه حيث كان الضبط
بالمعاصرة . ولم نتدخل إلا بالقدر الذى يُجلى النص ويوثقه ، أو يرفع احتمالا ويزيل شبهة . والله من
وراء القصد ، وهو وليّ التوفيق .

الطاهر احمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى

المحرم سنة ١٣٨٣ هـ
القاهرة في مايو سنة ١٩٦٣ م